بسم الله الرحمن الرحيم

رب زدني علماً وحفظاً وفهماً

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَعُوذُ باللهِ من شُرورِ أنفُسِنا وسَيِّئاتِ أعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ ومَن يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وأشْهَدُ أن لَّا إلَهَ إلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَريكَ لَهُ وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بَعْد:

فَإنَّ أصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد ﷺ،

وَشَرَّ الأمُورِ مُحْدَثاتُهَا، وكُلَّ مُحْدثَةٍ بدْعَةٌ، وكُلَّ بدْعَةٍ ضَلَالَةٍ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّار.

فَقَدْ هَيَّأ اللهُ تَعَالى سَلَفاً صَالِحاً لخدمةِ دينِهِ، وحفظِ سُنّة نَبيِّهِ ﷺ، وَتبيين شريعتِهِ وفق كتابِهِ وسُنّة نبيِّه ﷺ، وَتَتَابعتْ جُهودُهُمْ في تبيين المَنْهجِ الربَّانِيّ حَتَّى وَصَلَ إلينَا سَليماً خَالِياً منَ الدَّخيل بِمَا وَضَعُوا مِنْ قَواعدَ مَنْهجيةٍ ثَابتةٍ، وموازينَ مُنْضبطةٍ لَا يزيغُ عَنْهَا إلَّا هَالِكٌ.

وَالمُشْتغلُ بالسُّنّة النَّبويّةِ والآثارِ السَّلَفيّةِ يَقفُ عَلَى ألوَانٍ مِنْ مَنْهجِ السّلفِ الصَّالح الدَّقيقِ، بجانبِ مَا عُرِفَ عَنْهم مِنْ أمانةٍ علميّةٍ مُطلقةٍ، يَحْذو ذلك إيمانٌ صَادِقٌ.

وَنُصوصُ الدُّعَاء نَالتْ قِسْطاً وافراً من جُهودِ السّلفِ الصّالحِ في تبْيينها وَشرْحِهَا وتَعْليمِهَا للأُمَّةِ الإسْلَاميَّةِ عَلَى مَرِّ العُصورِ وَكرِّ الدُّهورِ.

وَقَدْ تَواردتْ الآياتُ والآثارُ بالتّرغيب في الدُّعَاءِ، وَالحثِ عَلَيْهِ، وذلكَ لأهميتِهِ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (وَالآيةُ الكَريمةُ دَلَّتْ عَلَى أنّ الدُّعَاءَ مِنَ العِبادَةِ فإنّهُ تَعَالَى أمَرَ عِبادَهُ أنْ يَدْعُوهُ ثُمَّ قَالَ: **(إنّ الَّذينَ يَسْتَكْبِرُون عَنْ عَبادَتِي)** فَأفَادَ ذلكَ أنَّ الدُّعَاءَ عِبادَةٌ، وَأنّ تَركَ دُعاءِ الرَّب تَعَالَى اسْتكبارٌ، وَلَا أقْبَحَ مِنْ هَذَا الاسْتَكبار، وكيفَ يَسْتكبرُ العبدُ عَنْ دُعاءِ

مَنْ هُوَ خَالقٌ لهُ وَرازقُهُ وموجدُهُ مِنَ العَدَمِ، وَخَالقُ العَالَمَ كلَّهُ ورازقُهُ وَمُحييه ومُميتُهُ ومُثيبُهُ ومُعاقبُهُ، فَلَا شكَ أَنَّ هذَا الاسْتكبارَ طرفٌ من الجُنونِ، وَشُعبة مِن كُفْرانِ النِّعم)[1]. اهـ.

قلت: فمَنْ ذهبَ إلى إبْطالِ الدُّعاءِ للحُكّامِ وَلغَيْرِهِم فَمَذْهَبُهُ فَاسِدٌ؛ لأنَّ اللهَ أَمَرَ بِهِ لجميعِ النَّاسِ مِنْ حُكّامٍ وَغيرِهِم.

قَالَ الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في شأن الدُّعَاء (ص٨): (فَأَمَّا مَنْ ذَهَبَ إلى إبْطال الدّعُاء، فَمَذْهَبُهُ فَاسِدٌ وَذَلِكَ أنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ بالدُّعاءِ وحَضَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. اهـ.

ومَنْ أَبْطَلَ الدُّعاءَ للحُكّامِ فَقَد رَدَّ أَمْرَ الله تَعَالى، ولَا خَفَاءَ بفَسَادِ قولِهِ وَسُقُوطِ مَذهَبِهِ، مَذْهَبِ الخَوارج نَعوذُ باللهِ مِنَ الجَهْلِ.

فالدُّعاءُ نِعْمة كُبْرى، ومِنْحة جلَّى، جَادَ بها المَوْلَى تَبارَكَ وتَعَالَى وامْتنَّ بها عَلَى عِبَادِهِ. حيثُ أمرَهُمْ بالدُّعاءِ، ووعدهُمْ بالإجَابةِ والإثَابةِ.

فَشأنُ الدُّعاءِ عَظيمٌ، ونفعُه عَميمٌ، ومكانتُهُ عالية في الدِّينِ، فما اسْتُجلبتْ النِّعم بمثلِهِ، وَلَا اسْتُدفعتْ النِّقم بمثلِهِ ذلكَ أنَّهُ يتضمّنُ تَوْحيدَ اللهِ، وإفْرَاده بالعِبادَةِ دونَ مَنْ سِواهُ، وهذَا رأسُ الأمْرِ، وَأصْلُ الدِّينِ.

قَالَ القَاضِيُّ عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ: (أَذِنَ اللهُ في دُعائِهِ، وعَلَّمَ الدُّعاءَ في كِتابِهِ لخلِيقَتِهِ وَعَلَّمَ النَّبيُّ ﷺ الدُّعَاءَ لأمَّتِهِ، وَاجْتَمَعَتْ فيهِ ثَلاثَةُ أَشْياء: العِلْمُ بالتّوحِيدِ، وَالعِلْمُ باللُّغَةِ، وَالنَّصيحَةُ للأُمَّةِ، فَلَا يَنْبَغِي لأحَدٍ أنْ

---

(١) «تحفة الذاكرين» (ص٢٨)، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط. الأولى.

يَعدِلَ عَنْ دُعَائِهِ ﷺ..)[1].اهـ.

وَعَنِ النُّعْمَان بْنِ بَشِيرٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الدُّعَاءُ هُوَ العِبادَةُ)[2].

قَالَ الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَوْلُهُ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ» مَعْناهُ أَنَّهُ مُعْظَمُ العِبادَةِ، أَو أَفْضَلُ العِبَادَةِ)[3].اهـ.

وَقَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَوْلُهُ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ» هذِهِ الصِّفَةُ المُقْتضيةُ للحَصْرِ مِنْ جهةِ تَعريفِ المُسْنَدِ إِلَيْهِ، وَمِنْ جَهَة ضَمِيرِ الفَصْلِ تَقْتَضِي أَنَّ الدُّعاءَ هُوَ أَعْلَى أَنْوَاعِ العِبَادَة وَأَرْفَعُهَا وَأَشْرَفُهَا)[4].اهـ.

فَمَا أَشَدّ حَاجةَ العِبَاد إلى الدُّعَاء، بلْ مَا أَعْظَمُ ضَرُورتهمْ إِلَيْهِ فالمُسْلمُ في هذه الدُّنيا لَا يَسْتَغْنِي عِن الدُّعَاءِ بحالٍ مِنْ الأحْوالِ.

فإذَا كانَ الدُّعاءُ بتلكَ المنزلَة العَاليةِ والمكانة الرَّفيعةِ، فَأَجدر بالعَبْدِ أنْ يَتفقهَ فيهِ حَتّى يَدْعو رَبَّهَ عَلَى بَصيرةٍ... فذلكَ أَرْجَى لقَبُولِ دُعائهِ، وإجابةِ مَسْألتِهِ.

ولذلكَ كانَ السَّلفُ الصَّالحُ ـ رِضْوَانَ اللهِ عَلَيْهِم ـ يُولُونَ هَذَا الأمْرُ ـ **أي الدُّعاء لِوُلَاةِ الأمْرِ عَدَلُوا أَوْ ظَلَمُوا** ـ اهْتِمَاماً خاصّاً، لا

---

(١) انظر: «الفتوحات الربانية على الأذكار النَّووية» لابن علان (ج١ ص١٧)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) **حديث صحيح.**
أخرجه أبو داود في «سننه» (ج٢ ص١٦١)، ط. دار الحديث، بيروت، ط. الأولى من طريق ذر بن عبد الله عن يُسَيْعٍ الحضرمي عن النعمان به.
قلت: وهذا سنده صحيح.

(٣) «شأن الدعاء» (ص٥)، ط. دار الثقافة العربية، دمشق، ط. الثالثة.

(٤) «تحفة الذاكرين» (ص٢٨)، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط. الأولى.

سِيَّمَا عِنْدَ ظُهُورِ بَوَادِرِ الفِتْنَةِ ـ **كَمَا فِي هَذَا العَصْرِ** ـ؛ نَظَراً لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى الجَهْلِ بِهِ أو إغْفالِهِ من الفَسَادِ العَرِيضِ في العِبَادِ والبِلَادِ والعُدُولِ عَنْ سَبِيلِ الهُدَى والرّشاد.

قَالَ الفُضَيْلُ بْنُ عياضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لَوْ أَنَّ لي دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً، مَا صَيَّرْتُها إلَّا في الإمَامِ. قِيلَ: وكَيْفَ ذَلِكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ؟ قَالَ: مَتَى صَيَّرْتُهَا في نَفْسِي لَمْ تُجُزْنِي، وَمَتَى صَيَّرْتُهَا فِي الإمام. يَعْنِي عَمَّتْ. فَصَلَاحُ الإمَامِ صَلَاحُ العِبَادِ والبِلَادِ... فَقَبَّلَ ابْنُ المُبَارَكِ جَبْهَتَهُ، وَقَالَ يَا مُعَلِّمَ الخَيْرِ مَنْ يُحْسِنُ هذا غيرُك)**[1].

وسُئل الشَّيْخ عبْد العَزِيزِ بن بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ **فيمَنْ يَمتنعُ عَنِ الدُّعَاءِ لِوَلِيّ الأَمْر قَالَ: (هذَا مِنْ جَهْلِهِ، وعدم بصيرتِهِ، الدُّعاءُ لِوَلِيّ الأَمْرِ مَنْ أَعْظَمِ القُرباتِ ومِنْ أَفْضَلِ الطَّاعاتِ وَمَنَ النَّصيحَةِ للهِ ولعبادِهِ،** والنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا قِيلَ لَهُ: إنَّ دَرْوساً عَصَتْ قَالَ: **(اللَّهُمَّ اهْد دَوْساً وأْتِ بِهِمْ، اللَّهُمّ اهْدِ دَوْساً وَأْتِ بِهِمْ)**[2]، يَدْعُو للنَّاس بالخَيْر والسُّلطانِ أَوْلَى منْ يُدْعَى لَهُ؛ لأنَّ صلَاحَهُ صَلاحٌ للأمَّةِ فالدُّعاء لهُ مِنْ أهَم الدُّعَاءِ، وَمِنْ أهَم النُّصْح)[3]. اهـ.

---

(١) **أثر صحيح.**
أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (ج٨ ص٩١)، ط. دار الكتاب العربي، ط. الرابعة، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج٤٨ ص٤٤٧)، ط. دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، عن أبي يعلي الموصلي ثنا عبد الصمد بن يزيد البغدادي ـ ولقبه مردويه ـ قال سمعت الفضيل بن عياض به.
قلت: وهذا سنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج٨ ص١٠١)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ومسلم في «صحيحه» (ج٤ ص١٩٥٧)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة به.

(٣) «المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم» (ص٢١)، ط. جمعية دار البر، الإمارات.

قلت: هذَا الكَلامُ مِنْ أجْمَعِ الكَلامِ وَأَحْكَمِهِ وَأَعْذَبِهِ، وَعَلَى مَنْ أرَادَ لِنَفْسِهِ النَّجَاةَ وَالفَلاحَ أنْ يَتَأمَّلَ في نُصوصِ الشَّرْعِ الوَارِدَةِ فِي هذَا البابِ، فَيَعْمَلَ بهَا ويُذْعِنَ لها، ولا يَجْعَلْ للهَوَى عليه سُلطاناً، فإنّ العَبْدَ لا يَبْلُغُ حَقِيقَةَ الإيمانِ حتّى يكونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جاءَ به الشَّرْعُ المُطَهَّرُ، وأكْثَرُ فَسادِ النَّاس في هذَا البابِ إنَّما هو مِنْ جَرَّاءِ اتِّباعِ الهوَى وتَقْدِيمِ العَقْلِ على النَّقْلِ.

فَبَيْنَ يَدَيْكَ أيُّها الطّالبُ للحَقِّ نُصُوصٌ شَرْعِيَّةٌ، وَنَقُولٌ سَلَفِيَّةٌ فَأرْعِ لَها سَمْعَكَ، وَأَمْعِنْ فيهَا بَصَرَكَ.

جَعَلَ اللهُ التَّوفيقَ حَليفَكَ، والتَّسْديدَ رَفيقَكَ، وَجنَّبَكَ مُضِلَّاتِ الأهْوَاءِ والفِتَنِ.

وَانْطلَاقاً مِنْ مَبْدإِ الاهتِمَامِ بِهذَا الأمر وددتُ أنْ أضَعَ لإخْوانِي المُسلمينَ هَذَا الكَتَابَ الصّغيرَ ليستفِيدُوا منهُ وسميتهُ (ضيَاءُ الوِسَامِ فِي وُجُوبِ الدُّعَاءِ لِلْحُكَّامِ) وليُعلمَ أنَّ الأدلةَ النّقليّةَ كَثِيرة فِهي هذه الأبوابِ وحيثُ اقْتَصرت عَلَى بَعْضِ الأدلَةِ طَلَباً للاخْتِصَارِ والمُراعاةِ لجَعْلِ الكِتَابِ أسْهل للقراءةِ والفهمِ.

هذَا وأسألُ اللهَ العَظيمَ أنْ يَنْفَعَ بهَذَا الكِتَابِ عَباده المُسْلمينَ، وأنْ يهدينا جَميعاً إِلَى الصِّراطِ المُستقيمِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نبيِّنا مُحمّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أبو عبد الرحمٰن فوزي بن عبد الله
الحميدي الأثري